الفصل الثالث
بـــاب الـفــتـوح

باب الفتوح

(أثر رقم 6)

(480هـ/ 1087م)

يقع باب الفتوح في السور الشمالي للقاهرة على بعد 200 متر غرب باب النصر بنفس السور، وهذا الباب أنشأه بدر الجمالي سنة 480هـ/ 1087م، وهو يقع شمال باب الفتوح القديم الذي أنشأه جوهر القائد سنة 358هـ/ 969م، وفي نفس محوره لمسافة 100 متر.

وعن باب الفتوح القديم قال المقريزي: " وضعه القائد جوهر دون موضعه الآن، وبقي منه إلى يومنا هذا عقده وعضادته اليسرى، وعليه أسطر من الكتابة بالكوفي، وهو برأس حارة بهاء الدين[1] من قبليها دون جدار الجامع الحاكمي[2]، وأما الباب المعروف اليوم: باب الفتوح، فإنه من وضع أمير الجيوش، وبين يديه باشورة[3]، قد ركبها الآن الناس بالبنيان، لما عمر ما خرج عن باب الفتوح[4]".

أما عن منشئ باب الفتوح فهو أبو النجم بدر الجمالي الذي كان مملوكاً أرمنياً لجمال الدولة بن عمار لذا عرف بالجمالي، وكان ذا قوة وعزم، وصار يتقدم في الخدمة حتى ولي إمارة دمشق من قبل المستنصر سنة 455هـ/ 1063م، ثم تركها في السنة التالية، ثم وليها ثانية سنة 458هـ/ 1066م، ثم تولى نيابة عكا سنة 460هـ/ 1068م، فلما كانت الشدة بمصر من شدة الغلاء وكثرة الفتن وفساد أحوال الخلافة الفاطمية، لذلك استدعاه المستنصر ليتولى تدبير الدولة، فحضر للقاهرة ومعه عساكره في جمادى الأولى 465هـ/ يناير 1074م، فقبض على جميع أمراء الدولة، وقويت شوكته وعظم أمره، وقلده المستنصر وزارة السيف والقلم، فصارت القضاة والدعاة وسائر المستخدمين من تحت يده، وزيد في ألقابه "أمير الجيوش، وكافل قضاة المسلمين، وهادي دعاة المؤمنين"، وتتبع المفسدين فلم يبق منهم أحداً حتى قتله.

---

(1) حارة بهاء الدين هي المعروفة حالياً باسم شارع بين السيارج.

(2) أثر رقم 15.

(3) الباشروة عبارة عن بناء يقام أمام الباب ليجعل المرور من فتحة الباب في هيئة منكسرة ويمنع الدخول مباشرة من فتحة الباب. انظر بالتفصيل ما يلي ص.

(4) الخطط، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المجلد الثاني، ص273-274.

ومات في ربيع الآخر سنة 487هـ/ مايو 1094م، وقد تحكم في مصر تحكم الملوك، ولم يبق للمستنصر معه أمر، واستبدّ بالأمور، فضبطها أحسن ضبط، وكان شديد الهيبة، وافر الحرمة مخوف السطوة قتل من مصر خلائق لا يحصيها إلا خالقها، منها أنه قتل في يوم من أهل البحيرة نحو العشرين ألف إنسان إلى غير ذلك من أهل دمياط والإسكندرية، والغربية والشرقية، وبلاد الصعيد وأسوان، وأهل القاهرة ومصر، إلّا أنه عمر البلاد، وأصلحها بعد فسادها وخرابها، بإتلاف المفسدين من أهلها، وكان له يوم مات نحو الثمانين سنة.

وكانت له محاسن منها: أنه أباح الأرض للمزارعين ثلاث سنين، حتى ترفهت أحوال الفلاحين، واستغنوا في أيامه، ومنها حضور التجار إلى مصر لكثرة عدله بعد انتزاحهم منها في أيام الشدّة، ومنها كثرة كرمه، وكانت مدّة أيامه بمصر 21 سنة، وهو أوّل وزراء السيوف الذين حجروا على الخلفاء بمصر[1].

أما عن تاريخ إنشاء هذا الباب فهو سنة 480هـ/ 1087م حسبما نستنتجه من النص التأسيسي المنقوش بواجهة البوابة، ويحدد فيه تاريخ بدء العمل، وهو محرم سنة 480هـ/ أبريل سنة 1087م، وبلا شك أن مثل هذا الباب الكبير قد يستغرق بناؤه نحو السنة كاملة إن لم يكن أكثر، وهذا التاريخ هو تاريخ إنشاء باب النصر القريب من باب الفتوح والذي يتفق معه في نصه التأسيسي كذلك.

مهندس بناء الباب:

تعددت الأقوال في أصل مهندس هذا الباب وباب النصر وزويلة، وخصوصاً أن عمارة أسوار القاهرة جاءت في غاية الروعة والجمال والفخامة في فنون التخطيط الحربي وبراعة الإنشاء وجمال التشكيل والزخرفة بصورة لفتت أنظار الرجالة خاصة الأوروبيين منهم ومازالت البوابات الباقية تشهد بهذا الجمال وتلك الروعة[2].

وأول من أشار إلى مهندس بناء أبواب القاهرة هو المؤرخ أبو المكارم الذي عاش في أواخر العصر الفاطمي وأول العصر الأيوبي، ففي حديثه عن دير القصير بطرا أشار إلى قبر

(1) المقريزي، الخطط، المجلد الثاني، ص276-279.

(2) محمد عبد الستار، موسوعة العمارة الفاطمية، جـ1 ص84-85.

قريب من بيعة ومار يوحنا ذكر أنه قبر يوحنا الراهب الذي هندس سور القاهرة وأبوابها في الخلافة المستنصرية ووزارة أمير الجيوش بدر الجمالي[1]، وقد تبنى هذه الرواية بتلر.

وأما الرواية الثانية فقد رواها المقريزي وذكر فيها أن ثلاثة أخوة بنائين قدموا من الرها، وكل واحد بنى باباً، وأن باب زويلة بنى في سنة 484هـ، وأن باب الفتوح بنى سنة 480هـ[2]، وقد اهتم بهذه الرواية كثير من الأثريين المستشرقين منهم هو تكير وفييت وكريزويل[3].

وقد ناقش أ. د. محمد عبد الستار آراء الباحثين عن أصل مهندسي بوابات القاهرة، وخلص إلى رأي هو: "وخلاصة القول أن بناء أسوار القاهرة وبواباتها قد سار على تقاليد إسلامية كان أساسها محلياً مع تطعيمها ببعض العناصر من الشرق أو الغرب الإسلاميين باعتبار العلاقات وباعتبار الثقافة وأساليب القتال والدفاع المتبعة في عصر إنشاء هذه الأسوار[4]".

وأضيف أنه نظراً لتشابه البوابات الثلاثة في تخطيطاتها وأسلوب بنائها وتشابه عناصرها المعمارية والزخرفية والكتابية تعطي دلالة على أن مهندساً واحداً هو الذي هندس هذه البوابات وأشرف على بنائها من أول العمل إلى آخره.

الاسم الجديد الذي أطلقه بد الجمالي على باب الفتوح:

ورد في النص التأسيسي لهذا الباب الذي نقش على واجهته أنه سمى "باب الإقبال"، وكذلك سمى باب النصر الجديد الذي بناه بدر الجمالي كذلك باسم "باب العز"، وكذلك سمى باب زويلة الجديد باسم "باب السعد"، وأيضاً سمي باب البرقية باسم "باب التوفيق".

وبالرغم من إطلاق هذه الأسامي الجديدة على أبواب بدر الجمالي إلا أن الأسماء القديمة التي سماها جوهر القائد (الصقلي أو الصقلبي) ظلت حية في وجدان الناس وكتابات المؤرخين ولم يستخدم أحدهم الأسماء الجديدة ولو لمرة واحدة.

---

(1) أبو المكارم (سعد الله بن جرجس بن مسعود (569-600هـ/ 1173- 1402م)
تاريخ الكنائس والأديرة، نشر وتعليق الراهب صموئيل السوريانى، بدون تاريخ نشر وبدون دار نشر، جـ2 ص91.
(وهذا الكتاب كان ينسب خطأ من قبل إلى أبو صالح الأرمني من القرن 19م)

(2) الخطط، المجلد الثاني، ص269-270.

(3) محمد عبد الستار، موسوعة العمارة الفاطمية، جـ1 ص85.

(4) موسوعة العمارة الفاطمية، جـ1 ص88.

مادة بناء البوابة وأسلوب البناء:

بنى باب الفتوح وغيره من أبواب القاهرة بالحجر الجيري، وكانت الأساسات توضع فوق طبقة من الرمال الصفراء، والأساسات عبارة عن دكة من الأحجار الضخمة، تعلوها جدران عريضة وجوهها الخارجية من أحجار مستوية بينما حشى داخلها بالدبش، وكانت المونة المستخدمة جير مع نسبة ضئيلة من الرمل والقصرمل[1].

ودرج المعمار أطوال الأحجار، فجعل أكبرها في الجزء الأسفل من البوابة والأحجار المتوسطة الأطوال في منتصف البناء، وجعل المداميك العليا أصغر في الحجم، وقد شطفت حواف الأحجار بقدر سنتيمتر واحد، وقد جلبت معظم هذه الأحجار والأعمدة المستخدمة في البناء من بقايا الأهرامات الصغيرة والمعابد بمنطقة الهرم، وقد شذبها النحاتون عند موضع الأبواب واستخدموا الدبش الصغير الناتج عن نحتها في الحشوات الداخلية.

وقد دعم المعمار برجي البوابة بسلسلة من الأعمدة المدفونة أفقياً في الصف السادس من صفوف المداميك، وقد طبق هذا الأسلوب أيضاً في باب النصر وباب زويلة[2].

الوصف المعماري:

يتكون باب الفتوح من برجين كبيرين مصممتين حتى ثلثي ارتفاعهما للدفاع عن قنطرة عقد ضخمة وضعت بينهما، وتوجد رحبة خلف هذا العقد مسقوفة بقبة محمولة على مثلثات كروية، ويتم الوصول إلى المنصة التي تعلو القبة الضحلة بدرج يجري إلى أعلى بجوار الواجهة الداخلية من الجدار بين البرجين نحو شرق البوابة، والبرجان مستطيلان بواجهتين مقوستين ولا ينقسمان من الخارج إلى طوابق [3] (لواحة 19).

ويبلغ طول واجهة بوابة الفتوح المطلة على الطريق 22,85 متراً، وارتفاعها 22,33متراً من مستوى الأرضية الأصلية حتى قمة الشرفات، ويبلغ عمقها 25,22متراً[4] (شكل 3)،

(1) كريزويل (ك. أ. س)، العمارة الإسلامية في مصر، (الإخشيديون والفاطميون) (939-1171م)، ترجمة عبد الوهاب علوب، تعليق محمد حمزة، نشر دار القاهرة ومكتبة زهراء الشرق، الطبعة الأولى، 2004م، ص176.

(2) نفسه، ص185.

(3) نفسه، ص184-185.

(4) كريزويل، العمارة الإسلامية في مصر، ص185.

والجزء السفلي (الأصم) من كل برج، وهو يمثل ثلثي ارتفاع البرج مزخرف بثلاث دخلات كبيرة معقودة قليلة العمق، واحدة على كل من الجانبين وواحدة في الواجهة وهي منحنية حسب التخطيط وهي أعلى من الأخرتين، والدخلات على الجوانب الخارجية وواجهة البرجين خالية تماماً من الزخرفة وتخلو من أية حلية، أما الدخلة الداخلية على جانب كل برج بجوار البوابة فهي معقودة بعقد نصف دائري مغلق نحتت أحجاره بشكل وسائد (مخدات) صغيرة متلاصقة، وهو نمط من العقود يظهر لأول مرة في العمارة الإسلامية في مصر[1].

أما الجزء العلوي من كل برج هو يمثل الثلث الثالث من ارتفاعها فهو عبارة عن حجرة للدفاع والمراقبة، وواجهاتها خالية من الزخارف، وقد فتح بالواجهة المستديرة ثلاثة مزاغل (فتحات لرمي السهام) معقودة داخل تجويف مستطيل محاط بإطار يحدده، أما واجهة الحجرة التي تطل على البوابة فقد فتح بها فتحتان مستطيلتان داخل تجويف مستطيل أيضاً محدد بإطار كذلك، وقد فتح بواجهة الحجرة فوق البرج الشرقي المطل على مئذنة جامع الحاكم مزغل واحد، بينما فتح بالواجهة الغربية للحجرة فوق البرج الغربي مزغلان، ويحيط بالأطر شريط زخرفي، ويتوج أعلى واجهات البرجين والجدار الذي بينهما والذي يعلو المدخل صف من الشرافات تتخللها فتحات للاستطلاع والمراقبة وهي من أعمال الحملة الفرنسية على مصر لتناسب فوهات المدافع التي ركبوها فوق باب الفتوح، وسقف كل حجرة سقف حجري

(1) تكرار هذا العقد ذو الوسائد (المخدات) بعد فترة طويلة في العمائر المملوكية بمصر تمثل في المدخل الرئيسي لجامع الظاهر بيبرس (665-667هـ/ 1266-1268م)، ومئذنته ضريح السلطان قلاوون والمدخل الأصلي لمدرسة قلاوون (683هـ/ 1284م)، ومئذنته خانقاة سلار وسنجر الجاولي (703هـ/ 1303م)، ومدخل خانقاة بيبرس الجاشنكير (706هـ-709هـ/ 1306-1309م)، ثم في مدخل ضريح على بدر الدين القرافي (700-710هـ/ 1300-1301م)، ومدخل مسجد مبخك اليوسفي (750هـ/ 1349م)، ومدخل قبة يونس الدوادار (783هـ/ 1382هـ)، وبوابة درب اللبان (ق8 هـ/ 14م) وعقد كبير بمارستان المؤيد شيخ (821هـ- 823هـ/ 1418-1420م)، كما استمر العقد في العمارة بمصر في العصر العثماني بدأ في مدخل زاوية حسن الرومي 929هـ/ 1523م، ومدخل مدرسة السلطان محمود (1164هـ/ 1754م)، وزاوية عبد الرحمن كتخدا بالخيامية (1168هـ/ 1754م)، ومدخل جامع الشيخ رمضان بعابدين 1175هـ/ 1761م، ودخلات برجي باب العزب بالقلعة 1168هـ/ 1754م، واستمر في عصر محمد علي فنراه في الباب الجديد بالقلعة (1240هـ/ 1824م).
كريزويل، العمارة الإسلامية في مصر ص221-222؛ محمد حمزة، موسوعة العمارة الإسلامية في مصر من الفتح العثماني حتى عهد محمد علي، نشر مكتبة زهراء الشرق بالقاهرة، جـ1، ص176-180.

عبارة عن قبو متقاطع، ويصعد إلى سطح كل حجرة من سلم من الطرف الجنوبي للحجرة التي تعلو البرج الشرقي.

ويبرز البرجان عن السور الشمالي المتصل بهما بمقدار 7,21متر، ويحصران بينهما رحبة مربعة مكشوفة اتساعها 7,68 متر وطولها 7,8 متر وتستدق هذه الرحبة عند نهايتها نحو الباب، ويبلغ اتساع فتحة الباب 4,85 متراً وارتفاعها 6,49 متر[1]، وهي نفس أبعاد فتحة باب النصر تقريباً، ويغلق فتحة الباب مصراعان من الخشب المصفح بالحديد المثبت بمسامير البرشام، ويتوج فتحة الباب عقدان (عتبتان)، أفقيان، والعقد السفلي منهما يتميز بكبر ارتفاعه بشكل غير عادي، وهو يتكون من 12 صنجة كبيرة بكل منها تعشيقتان بارزتان وصنجة مفتاحية من ثلاث مداميك أحدها بأسفله والآخران بأعلاه وبكل المداميك التي يتكون منها هذا العقد جزء مستدق الطرف غائر حول الحواف، والعقد الآخر الذي يعلوه أقصر من الارتفاع ومقوس في أسفله وهو يتكون من 11 صنجة بكل منها حافة مشطوفة بدرجة صغيرة جداً كبقية البناء، والنفيس ويقصد بها المساحة بين نقوش هذا العقد وبين القمة الأفقية للعقد الكائن أسفله مفتوحة، وبعلو العقد العلوي ثلاثة صفوف من مداميك الأحجار تكمل الطبلية يحيط بها عقد نصف دائري قائم على ركائز (أكتاف) وبحافة داخلية متقنة يتكون من 19 صنجة والصنجة المفتاحية مزخرفة بشكل لولبي[2].

ويتقدم على ما سبق بمسافة 1,49 متر عقد نصف دائري مفلطح ضخم، ويزين الجزئ المفلطح جزء شبكي مستطيل يتكون من مربعات مشوهة قليلاً تم حشو كل منها من عناصر زخرفية منحوتة جداً على شكل عباد الشمس، وزهرة الأقحوان، والأشكال الخماسية والأشكال الشبيهة بالنجمة السداسية وأشكال النجوم والأشكال المتقاطعة والدوائر والأشكال المفرغة والزخارف الهندسية وغير ذلك، ووضعت كل هذه الأشكال في إطار بسيط مكون من دائرة ومعين بالتبادل[3].

---

(1) يذكر أستاذنا د. محمد عبد الستار أن فتحات بوابات القاهرة بسور بدر الجمالي حكمتها مقاييس إسلامية فقهية الغرض منها تأدية وظيفتها دون الإخلال بحق الطريق باعتبار أن البوابة بناء يعلو الطريق، واشترط الفقهاء أن يراعي فيه أن تستوعب البوابة مرور فارس رافعاً رمحه أو فرد عادي راكباً جمله.
موسوعة العمارة الفاطمية، جـ1، ص103.

(2) كريزويل، العمارة الإسلامية في مصر، ص186.

(3) كريزويل، العمارة الإسلامية في مصر، ص186.

وينحصر بين هذا العقد الخارجي والعقدين الداخليين وما يعلوهما فتحة طولها 4,28 متر وعرضها 33 سم لتمكين الجنود المدافعين فوق الباب من رمي المهاجمين بالسهام والحراب والمواد والسوائل الحارقة، وقد وجدت مثل هذه الفتحات التي تسمى سقاطات في أبواب القاهرة الأخرى، وهي باب النصر وباب زويلة وباب البرقية باعتبارها عنصراً مهماً من عناصر التحصين الحربي للدفاع عن أبواب المدن ضد من يحاول الوصول إليها لحرقها أو لثقبها أو تدميرها بأي وسيلة من الوسائل المتبعة في مهاجمة أبواب المدن في العصور الوسطى[1].

ويلاحظ أن باب الفتوح ينفرد بوجود ممر داخلي هو استمرار للممر الداخلي في السور شرقي هذا الباب، ويخترق هذا الممر باب الفتوح فوق قبو الممر خلف المدخل، ويستمر إلى أن يصل إلى برج السلم غرب باب الفتوح.

ويوجد بين برجي باب الفتوح بناء عبارة عن ليوان بين البرجين من أعلى، ويبرز بناء الليوان عن واجهة المدخل أسفله، ويحمل هذا البروز ستة كوابيل تأخذ شكلاً زخرفياً معمارياً جميلاً، كما يوجد بينها اثنان على هيئة رأس كبش ذي قرنين في تشكيل معماري زخرفي مبتكر[2].

ويعلو العقد الخارجي الكبير المفلطح صف من الكوابيل تحمل رفاً حجرياً يجري على طول المسافة بين البرجين، وحواف الكوابيل مزخرفة بزخرفة فاطمية جميلة، وعدد من الكوابيل ثمانية منها اثنان في الطرفين طويلين وعلى قمة كل واحد منها رأس ثور، وقد أعادت لجنة حفظ الآثار بناء الكابولي الشرقي منهما سنة 1936م، وينحصر بين كل كابولين زخرفة على هيئة الأحقاق أو القصع. ويعلو الرف الحجري المحمول على الكوابيل عقد ضحل مكون من 21 صنجة بكل منها تعشيقة بارزة، وفوقه في حاجز الشرفة التي تعلوه نجد خمس فتحات معقودة وقد وضعت جميعاً في إطار، والشريط الزخرفي المتصل الذي يجري حول البرجين يمر عبر حاجز الشرفة فوق هذا الإطار مباشرة، وفوق الشريط المتصل نرى إفريزاً تدعمه 21 مقرنصة صغيرة يشبه إفريز باب النصر، وقمة هذا الجدار وكذلك البرجين متوجة بسلسلة من الشرافات وهي جميعاً على مستوى واحد، وهذه الشرافات ذات قمم نصف دائرية من تجديدات الحملة الفرنسية والفتحات بينها نحتت بحيث تستوعب فوهات مدافع الحملة[3].

(1) محمد عبد الستار، موسوعة العمارة الفاطمية، جـ1. ص104.
(2) نفسه.
(3) كريزويل، العمارة الإسلامية في مصر، ص186-187.

وتؤدي فتحة الباب إلى طرقة مستعرضة مستطيلة اتساعها 6,08 متر وامتدادها 2,75 متر، يغطيها قبو أسطواني، ويستند على جانبيها الشرقي والغربي مصراعاً الباب عند فتحهما مثلما هو الحال في باب النصر[1]، ويتوصل من هذه الطرقة إلى الرحبة الداخلية لباب الفتوح وهي مربعة الشكل يبلغ طول ضلع التربيع 7,57 متر، ويغطي هذه الرحبة قبة ضحلة محمولة على أربعة مثلثات كروية، وتعتبر هذه القبة من أضخم القباب الضحلة التي أنشئت في مصر، ويكتنف هذه الرحبة من الجانبين الشرقي والغربي دخلتان متوسط اتساع كل منهما 4,55 متر وعمق كل منهما 2,75 متر، ويعلو كل منهما قبو ذو ثلاثة أضلاع يظهر لأول مرة في العمارة الإسلامية بمصر[2]، وتطل هذه الرحبة على المدينة أمامها بفتحة اتساعها 7,57 متر يغطيها عقد كبير مستدير مكون من 27 صنجة 25 منها معشقة، ونظراً لأن عرضه 1,84 متر فإنه يمثل كتفاً يدعم هذا الضلع من القبة[3].

وقبو المدخل وكذلك أقبية الدخلات الكبيرة وعقد المخرج تنبث جميعاً من حلية بارزة رائعة تستمر على طول الواجهة الخلفية للمشى وتنتهي عند مسافة 20 سم حول الجناح (البرج) الشرقي و60 سم حول الغرب، وعلى قمة الواجهة الخلفية وعلى مستوى محاذ للمنصة نجد حلية رائعة أخرى حول الجناحين[4].

ونصعد إلى الطابق العلوي للبوابة والحجرتين فوق البرجين عن طريق السلم الحجري الذي يقع ملاصقاً للبرج الشرقي ويبدأ بجوار مئذنة جامع الحاكم ونصل منه إلى منظرة أو منصة ذات قبو نصف دائري تقع موازية للمستوى الثاني من البرجين فوق المدخل ومجاورة لحجرتي الدفاع، وهي تبرز عن سمت المدخل عن طريق الرف الحجري المحمول على كوابيل والتي ذكرناها من قبل، وتفتح هذه المنظرة من الداخل على المساحة المكشوفة خلف الأبراج بفتحة مستطيلة بينما تفتح على الناحية الشمالية الشرقية بخمس فتحات معقودة[5].

---

(1) محمد عبد الستار، موسوعة العمارة الفاطمية، جـ1. ص104

(2) تكرر هذا العقد في العصر المملوكي خاصة في الدخلات التي بصدرها نوافذ في الأواوين أو الأروقة بالمنشآت الدينية المملوكية.

محمد عبد الستار، موسوعة العمارة الفاطمية، جـ1. ص104-105.

(3)كريزويل، العمارة الإسلامية في مصر، ص187.

(4) نفسه.

(5) عاصم رزق، أطلس العمارة الإسلامية والقبطية بالقاهرة، جـ1 ص472.

وفي منتصف السلم السابق فتحة باب على يسار الصاعد تؤدي إلى الممر الذي يربط بين البوابتين، والحجرة التي تعلو البرج الشرقي يغطيها قبو متقاطع يتوسطه جامة دائرية بداخلها نجمة سداسية، وهذه الحجرة مستطيلة وتفتح على الجزء الخلفي بفتحة معقودة بعقد نصف دائري من صنجات معشقة، وبها أربعة مزاغل، واحد في الجهة الشرقية وثلاثة في الجهة الشمالية، بالإضافة إلى فتحتين مستطيلتين في الجهة الغربية، وتوجد فتحة باب في الناحية الشرقية تؤدي إلى سلم ينتهي للمستوى العلوي للحجرة والمنظرة، وتشبه الحجرة التي فوق البرج الغربي هذه الحجرة تماماً[1].

النص التأسيسي لباب الفتوح:

يوجد شريط كتابي بالخط الكوفي البارز على الرخام عرضه 34 سم وهو يمتد لمسافة 58,92 متراً بدءاً من الجدار الملاصق للبرج الشرقي للباب وينتهي بجوار المئذنة الشمالية لجامع الحاكم بأمر الله، وهذا الشريط يحوي النص التأسيسي لباب الفتوح، وهو:

"بسم الله الرحمن الرحيم, لا إله الا الله و حده لا شريك له محمد رسول الله علي ولي الله صلي الله عليهما و علي الأئمة من ذريتهما أجمعين (ثم آية الكرسي وهي الآية رقم 256 من سورة البقرة من القرآن الكريم). بعز الله العزيز الجبار يحاط الإسلام و تنشأ المعاقل و الأسوار رأى إنشاء هذا باب[2] الإقبال والسور المحيط بالمعزية القاهرة المحروسة حماها الله فتي مولانا وسيدنا معد أبو تميم المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه و علي أبائه الطاهرين و أبنائه الأكرمين السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبو النجم بدر المستنصري عضد الله به الدين وأفتح بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته الذي حصن الله بحسن تدبيره الدولة والأنام وشمل صلاحه بإذن الله تعالى الخاص والعام وابتغاء ثواب الله ورضوانه وطلب فضله وإحسانه وصيانة كرسي الخلافة وازدلافاً إلى الله بحياطة الكافة. وبدئ[3] بعمله في

(1)عاصم رزق، أطلس العمارة ص472.

(2) "رأي إنشاء هذا باب" قراءة أيمن فؤاد سيد التي ذكرها في الخطط، المجلد الثاني ص274، بينما قرأها محمد عبد الستار "وأمر بإنشاء هذا الباب" في كتابه موسوعة العمارة الفاطمية الجزء الأول ص101.

(3) سقط جزء من النص في كتاب محمد عبد الستار يبدأ بكلمة ناصر الإمام وينتهي بكلمة وبدئ، وهو خطأ مطبعي، وكذلك ورجت كلمة معد بصيغة محمد وهو خطأ مطبعي أيضاً.

محرم سنة ثمانين و أربعمائة الحنيفية و صلي الله علي سيدنا محمد و علي آله الأئمة الطاهرين و سلم تسليما إلي يوم الدين و حسبنا الله و نعم الوكيل "[1].

وبالتأمل في هذا النص نجد أنه يبتدئ بآية الكرسي وهي من الأذكار التي تتلى عقب الصلوات الخمسة وتعتبر من الآيات المحصنة من الشرور عند المسلمين كافة سواء أكانوا سنة أم شيعة، ويتضمن النص الاسم الجديد الذي أطلقه بدر الجمالي على باب الفتوح وهو باب الإقبال، وتضمن إطلاق اسم "المعزية القاهرة المحروسة" على مدينة القاهرة، كما تضمن النص مجموعة من الألقاب والوظائف التي شغلها بدر الجمالي التي تبين كفاءته في إدارة شئون الدولة والمحافظة على الخلافة الفاطمية، وتضمن النص تاريخ بداية العمل في الأسوار المحيطة بالقاهرة بالسور الشمالي للقاهرة وهذا السور هو المواجه لكل الغزوات على القاهرة لذلك كان الاهتمام به وبأبوابه عظيما.

(1) أيمن فؤاد سيد، تحقيقه للخطط، المجلد الثاني، ص274.

الباشورة التي كانت تتقدم باب الفتوح

ذكر المقريزي أن بدر الجمالي أقام "باشورة" تتقدم باب الفتوح، وعن مصير هذه الباشورة أيامه (ت 845هـ/ 1442م) قال: ".. قد ركبها الآن الناس بالبنيان لما عمر ما خرج عن باب الفتوح[1]".

والباشورة عبارة عن بناء يقام أمام الباب ليجعل المرور من فتحة الباب في هيئة منكسرة ويمنع الدخول مباشرة من فتحة الباب[2].

وقد احترمت المنشآت العامة والطرق والمرافق إلى حد كبير في العصر المملوكي البحري، أما في العصر المملوكي الجركسي فقد سادت الفوضى فيه والتسيب فاعتدى على هذه المرافق وحرمها سواء أكانت منشآت حربية ودفاعية أو مدنية أو دينية أو اجتماعية، ومنها أسوار وأبراج مدينة القاهرة، ولم تمدنا المصادر بأي معلومات تفيد اندثار بقايا هذه الباشورة التي كانت تتقدم باب الفتوح.

---

(1) الخطط، المجلد الثاني، ص 274.

(2) ذكر أ. د محمد عبد الستار أن بناء الباشورة على هذا النحو جزء من التخطيط الحربي للبوابات في أسوار المدن هدفه عرقلة العدو اضطراره إلى الانعطاف يسارًا عند الدخول في الفتحة الجانبية لتكشف يمين المهاجمين الحاملة لأدوات الحرب التي يقاتلون بها دون الدروع التي تكون في يسراهم فيسهل إصابتهم، كما أن وجود هذا البناء أمام الباب يساعد على حماية مصراعي الباب من ضربات المناجيق إلى حد كبيرن هذا بالإضافة إلى ما كان يعلق أمام هذه الأبواب من أنواع سميكة من المنسوجات تمتص أحجار المناجيق.
محمد عبد الستار، موسوعة العمارة الفاطمية، جـ 1، ص 91.

إنطباعات الرحالة الأجانب حول بوابات القاهرة

أبدى الرحالة الدانمركي نيبور إعجابه الشديد ببوابات القاهرة بقوله: "تعد بوابات القاهرة الثلاثة –باب النصر وباب الفتوح وباب زويلة– والجزء المعاصر لها من السور ضمن روائع العمارة العسكرية الإسلامية، فهي بوابات لا مثيل لها، والسور بأبراجه لا يفوته في العالم الإسلامي إلا نظيره بديار بكر[1]".

وعلق كريزويل بقوله: وقد بلغ بناء المجموعة كلها درجة من الكمال لم تتكرر في مصر، فخطيت البوابات بإعجاب رحالة القرن الثامن عشر نشأوا على تقاليد الكلاسيكية فيقول ميليه[2] عن باب الفتوح: "لم أر بوابة على هذه الدرجة من الروعة المعمارية والقدم التاريخي والكمال الفني"، كما يشير إلى باب النصر أيضًا لكنه يقول إنه "لا يقارن بباب الفتوح"، ويبدي الرحالة دهشته من بنائه بهذه القوة "بلا أعمدة ولا دعامات[3]"، كما يبدي موريسن إعجابه بـ "سماته الطبيعية وجمال أبراجه وزخارفه وبساطته ورقته[4]".

---

(1) كارسن نيبور رحالة دانمركي توفي سنة 1815م وتسمى رحلته: "رحلة إلى بلاد العرب وما حولها 1761-1767م"، وقد ترجم الجزء الأول وعنوانه "رحلة إلى مصر 1761-1762م" من قبل مصطفى ماهر، ونشر بالقاهرة سنة 1974م، وهي من الرحالات الهامة في أواخر القرن 18م، واستفاد علماء الحملة الفرنسية من هذا الكتاب كثيرًا.

أنظر: كريزويل، العمارة الإسلامية في مصر، ص 173، 381.

(2) كان بينودي ميليه القنصل الفرنسي المقيم في مصر 16 عامًا من سنة 1692 إلى سنة 1708م، وقام الراهب ماسكريه بنشر مذكرات وملاحظات ميليه عن مصر في عام 1935م باسم "وصف مصر" وهو الاسم الذي اقتبسه علماء الحملة الفرنسية بعد ذلك، وتعد مذكراته وملاحظاته التي كتبها على هيئة رسائل مهمة جدًا لدراسة العمارة الإسلامية وأوضاعها في تلك الفترة.

محمد حمزه، تعليقه على كتاب كريزويل (العمارة الإسلامية في مصر)، ص 388.

(3) كريزويل، العمارة الإسلامية في مصر، ص 173.

(4) نفسه.

أما جومار [1] فيرجح باب النصر ويقول: "إن باب النصر هو أعظم آثار القاهرة من ناحية الذوق والطراز ومن الخطأ أن نقدم باب الفتوح على هذا البناء" [2]، وكذلك كان رأي كل من كوست [3] وبرس دافين [4].

(1) جومار، وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل، ترجمه أيمن فؤاد سيد، نشر مكتبة مدبولي، ص 164.

(2) هو آدم فرنسوا جومار، مهندس وجغرافي وأثري فرنسي، ولد في فرساي بفرنسا عام 1777م، وكان أحد أعضاء البعثة العلمية التي صاحبت الحملة الفرنسية على مصر 1798-1801م، وعضوا بالمعهد العلمي المصري 1799-1801م، واشهر ما كتبه كتاب "وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل" ضمن أجزاء كتاب وصف مصر.

(3) هو المهندس الفرنسي باسكال كوست وكان قد قدم إلى مصر في عهد محمد علي، ومكث فيها عشرة أعوام فيما بين 1817 و 1827م، وألف كتابًا يسمى "العمارة العربية" أو "أثار القاهرة (1837-1839م)" وهو بالفرنسية، وقد سجل فيه أروع اللوحات المحفورة والرسوم الملونة بأمانة شديدة ودقة متناهية.

(4) بريس دافن مهندس فرنسي جاء إلى مصر عام 1829م وعمل في عدة وظائف وتكلم اللغة العربية ولهجاتها وتجويدها، ثم اعتنق الإسلام وتسمى إدريس أفندي، ومكث في مصر 17 عامًا، ومن أهم كتبه وأشهرها كتابه "الفن العربي من واقع آثار القاهرة من القرن السابع إلى نهاية القرن الثامن عشر"، وهو بالفرنسية.

محمد حمزه، تعليقه على كتاب كريزويل "العمارة الإسلامية في مصر"، ص 389.